**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، أما بعد.**

**فيسر إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالإسكندرية أن يقدموا لكم هذه المادة، والتي هي بعنوان "رجل لكل العصور"، لفضيلة الشيخ الدكتور: محمد إسماعيل، والآن نترككم مع فضيلة الشيخ.**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد.

فقد كنا بصدد الكلام على موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلسفة والمنطق، وهذا بلا شك يحتاج إلى وقت طويل جدًا لأن الكلام فيه وافر وكثير ومهم في نفس الوقت، لكننا تفرعنا عن هذا الموضوع إلى الكلام بين الفرق الإسلام والإيمان وبين الفلسفة والفروق بين المنهجين منهج الفلسفة والمنهج الإسلامي، لنصل إلى نتيجة أن هذين المنهجين متناقضين تمامًا ولا يمكن أن يلتقيا.

ومما يؤكد أهمية توضيح هذه القضية بقدر المستطاع أن طلبة الثانوية العامة يفرض عليهم اختيار مادة الفلسفة أعتقد في القسم الأدبي وأحيانًا بتكون اختيارية ما بينه وبين علم النفس، فأنا أوصي بلا تحفظ على أن يكون الخيار منحازًا إلى علم النفس مع وجود سلبيات شديدة في هذا العلم، لكنها لا تصل في خطورتها على العقيدة وعلى الإيمان، إلى نفس الدرجة التي تترتب على دراسة سموم وضلالات وكفريات الفلسفة.

فمؤلف كتاب الفلسفة هو الدكتور زكي نجيب محمود، يكفي في التعريف به أنه مؤلف كتاب خرافة الميتافيزيقا، يعني خرافة الغيب، يعتبر الإيمان بالغيب إيمان بالخرافة، وموقفه من الدين موقف عدائي، إلى أقصى مدى.

فبالتالي كان لا بد من إلقاء الضوء على بعض الضلالات في هذا المنهج، فهو يدعي في كتابه المقرر أن وسيلة المعرفة هي العقل، ودونه يكون الدين والخرافات، يربط بين الدين وبين الخرافات.

يقول: تحت عنوان نشأت الفلسفة إن الفلسفة نشأت في بلاد اليونان قبل غيرها، ثم يقول: وذلك لأن اليونانيين كانوا يستخدمون العقل كويسلة للمعرفة، في حين كانت بلادنا أي دول المشرق تستخدم الخرافات والدين، بدلًا من استخدام العقل.

فبلا شك هذا تزييف للحقيقة وللتاريخ مرتين في عبارة واحدة، حيث قرن الدين أولًا بالخرافات، وجرده من العقل، كما ادعى بأن الفلسفة نشأت في بلاد اليونان قبل غيرها.

أما أن موقف الإسلام من العقل فبلا شك أنه يؤخذ من كلام هذا المؤلف أن الإسلام مضاد للعقل، وبالعكس تمامًا يعني ميزة الإسلام الكبرى أنه لا يمكن أن يتعارض مع العقل على الإطلاق، لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، وهذه شهادة بشهادة غير المسلمين قبل المسلمين أنفسهم، فهذا هو الكاتب الماركسي الفرنسي المشهور ماكسين رونسن يقول: القرآن كتاب مقدس تحتل فيه العقلانية مكانًا جد كبير، فهو في مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل جاءوا بالبينات، وهو لا يألوا يتحدى معارضيه أن يأتوه بمثله، كما أنه ما ينفك يقدم البراهين العقلانية على القدرة الإلهية، ففي خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتوالد الحيوان، ودوران الكواكب والأفلاك وتنوع الخيرات الحياة الحيوانية والنباتية تنوع رائع التطابق مع حاجات البشر آيات لأولي الألباب.

نفس هذا الكاتب الفرنسي الماركسي حينما قارن بين عقلانية الإسلام، أو احترام الإسلام للعقل، وبين موقف العهدين القديم والجديد من قضية العقل، قال: إن العقلانية القرآنية صلبة كأنها الصخر، يعني تقف على أرض راسخة وقوية.

جيستاف لوبون وهو مؤلف وفيلسفوف يقول: إن العرب هم الذين علموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، أيضًا من كبار هؤلاء الفلاسفة الغربيين رينيه مليه يقول: لقد جاء المسلمون جميعًا في بحث جديد مبدأ يتفرع من الدين نفسه هو مبدأ التأمل والبحث، وقد مالوا إلى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء، وقد وجد منهم كبار الأطباء.

ويقول الدكتور فراتنير رونتال: إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جليًا في حقل المعرفة التجريبية، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم، فإنهم كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبين، حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة، ومن المعلوم أن كثيرًا من المثقفين الغربيين وهذا نشر أخيرًا، أن عددًا هائلًا من هؤلاء يدخل في الإسلام من ذوي الثقافة والعلوم، يعني العالية، العالم الإنجليزي ألتر أديسون رئيس قسم الهندسة الإلكترونية بجامعة ستي البريطانية أعلن إسلامه عقب مؤتمر الإعجاز الطبي في القاهرة سنة 85، يقول وقتها: إن القرآن الكريم يتمشى مع العقل، ولا يتناقض مع العلم، وإن الإسلام دين الفطرة الذي يخاطب العقل والوجدان.

مؤلف هذا الكتاب كتاب الفلسفة والمنطق أو كتاب الفلسفة المقرر على طلبة الثانوية العامة، أيضًا بعد ما شوه عقيدة السلف الصالح أخذ يعرض البدائل من عقائد أهل الزيغ والضلال من بداية الكتاب حتى نهايته، فمثلا عرض الفلسفة البرجماتية الوضعية، وهي عقيدة الأمريكان حيث عد المؤلف مميزاتها وزينها للعقول، ولم يذكر لها سيئة واحدة، يقول إن وظيفة العقل في الفلسفة البرجماتية هي البحث عن حل لمشكلات الحياة اليومية، وليس الانشغال بالمشكلات النظرية الميتافيزيقية، أي الغيبية.

وهكذا يسوي الإنسان بالبهيمة ينبغي أن يكون كل ما يشغله هو البحث عن أمور معاشه الحياتية اليومية المادية أما أمور دينه وربه ومستقبله في آخرته وغيره من الغيبيات فإنها في رأيه من الأمور الخرافية.

وزكي نجيب محمود هو كبير مؤلفي هذا الكتاب، وهو ممثل الفلسفة الوضعية الملحدة في العالم العربي، تلك الفلسفة التي تبشر بالإلحاد العلمي المعاصر أو الإلحاد القائم على العلم التجريبي ما يزعم، فمؤسس هذه المدرسة هو أوجست كونت زعيم الفلسفة الوضعية الملحدة في العالم، ومؤسسها الأول، حيث يدعي هذا الشيطان أن قوانين العلم التجريبي تغني عن الإيمان بالله.

ويزعم أن هذه القوانين تدل على أن الطبيعة لها وجود مكتف بذاته يعني وجود غير محتاج إلى إله يخلقه أو يدبره، يقول: أوجست جوت وهو أستاذ زكي نجيب محمود: إن الاعتقاد في ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن إلا تصورًا يخفي وراؤه جهلنا بالأسباب الطبيعية وأن العالم الطبيعي لا يبقي فراغًا يسده الاعتقاد بوجود إله ولا يبقي سببًا يدفعنا إلى الإيمان به.

ثم إن كونت هذا انتهى إلى أنه أسس دينًا جديدًا سماه دين الإنسانية، دين الإنسانية بديلًا عن الأديان الأخرى، والغريب أن كونت نفسه، يعني هو كونت كان يأخذ موقفًا مضادًا للدين كرد فعل للديانة الكاثوليكية، هذ هو الذي حاذ به إلى النوع من رد الفعل.

الغريب أن أوجست كونت نفسه لما تكلم على الإسلام قال: إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام، لأنه دين عار عن الحماقات، ويتميز ببساطته وعقلنته وقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله.

فالمسوغات التي دفعت هؤلاء الوضعيين إلى هذا الموقف المعادي للدين، إنه كان فعلًا دينًا محرفًا ومنافيًا للفطرة وفيه كثير من الانحرافات كما هو معلوم من تاريخيهم.

فلا يوجد مبرر أن يطبق مثل هذا الموقف مع دين الله تبارك تعالى، الذي هو دين الإسلام ودين جميع الأنبياء.

أيضًا من الأمور الغريبة في هذا الكتاب أن المؤلف يتهجم على لفظ الجلالة، يقول دكتور محمد البهي وهو ينتقد كتاب زكي نجيب محمود، اللي هو خرافة الميتافيزيقا يعني خرافة الغيبيات، يقول الدكتور محمد البهي رحمه الله تعالى: في بعض كليات الآداب يدرس كتاب خرافة الميتافيزيقا، وهو كتاب منقول من الفكر الأوروبي المادي، ويهدف إلى بيان أن العبارات الميتافيزيقية يعني التي تخبرنا عن أشياء غيبية، عبارات فارغة من المعنى، يعني معالم الغيب هذا لا وجود له دون أن يستثني من ذلك الدين أو يراعي قدسيته، ودون أن يصون اسم الله جل جلاله فيبتعد به عن هذا النقاش.

وطبعًا يعرض لفظ الجلالة ويقول إنه والعياذ بالله إن وجود الإله عز وجل هو مثل ظرف يتداوله الناس في الأسواق مدة طويلة على أنه يحتوي بداخلة ورقة من فئة ذوات الجنيه، ويتعامل الناس به ويتناقلون عما بداخله هذه القيمة.

وبعدئذ يجيء شخص متشكك ويفض الظرف ليرى ما بداخله فإذا به فارغ، وكان ينبغي أن يبطل به البيع والشراء لو تنبه الناس إلى زيفه من أول الأمر.

فيذكر الدكتور محمد البهي أنه ما يقصد بهذا إلا الذات الإلهية تعالى الله عما يقول الكافرون والمشركون علوًا كبيرًا.

ثم إن هذه الوضعية تأسست أو تطورت المذهب الوضعي الفلسفة الوضعية تطور من السيء إلى الأسوء على يد دولكايم اليهودي، فإذا كانت كونت أوجست كونت قد هاجم دين الكنيسة إلا أنه قد نادى بدين بديل سماه دين الإنسانية، كما نادى برفع شأن الأخلاق وعول عليها في تأسيس المجتمع.

أما دولكايم اليهودي فقد عارض ذلك كله وقال بأن الوضعية تقنع ببحث ما هو كائن وترفض مناقشة ما ينبغي أن يكون.

ثم قلده هاربرت بنسر الذي استبعد فكرة المثل الخلقية المطلقة، ونادى بالوقوف عند الظواهر الحسية التجريبية وحدها التي تخضع لقانون البقاء للأصلح والأقوم وينتج عن ذلك تقدم الأقوياء وسقوط الضعفاء، وهذا كان أساس نظام الرأسمالية.

يقول الدكتور محمد البهي رحمه الله: إن كتاب خرافة الميتافيزيقا للدكتور زكي نجيب محمود يقصد به التعمية وهو في الواقع يهدف إلى إنكار الدين والحقائق الإيمانية، وهكذا هناك كثير من العلماء تكلموا على هذا الأمر، ولم يوافق العالم المسمى بالعربي هذا الرجل شخص واحد، لم يتبعه على مذهبه أي أحد، فكان هو الشخص الوحيد الذي تبنى هذا المذهب ودعى إليه، ولم يستجب إليه أحد.

يقول دكتور إبراهيم فتحي، يقول: إن الوضعية المنطقية عندنا ليست تيارًا فكريًا تعتنقه قوًا اجتماعية ضيقة أو واسعة بل هو تيار ظل كما بدأ مجرد فئة ذات فرد واحد، وهو زكي نجيب محمود، هذا الشخص الوحيد الذي كان يعتنق هذا المذهب.

يعني أيضًا هناك بعض القضايا التي مسها هذا الكتاب، قضايا عقدية مسها بتهجم في كابه في قضية الفلسفة فمن ذلك مثلًا ادعاء أن الفكر الفلسفي اليوناني هو أصل الحضارات، يقول الدكتور مصطفى حلمي ردًا على ذلك: يكاد ينعقد إجماع الباحثين على أن حضارات الشرق أسبق من اليونان في إنتاج ما شكل الفلسفة.

أيضًا ناقش قضية مشكلة الوجود في حد زعمه، فصاغ الأسئلة في قضية الوجود صياغة تنتهي لمصلحة الوثنية، فناقش المادة التي خلق منها هذا القول وهل الكون هل هي قديمة أم حادثة، ثم يسلم بأنها قديمة، قديمة يعني لا بداية لها.

وذكر أن عناصرها أربعة هي: الماء والهواء والنار والتراب، كل هذا التصور خرافي لم يحاول حتى أن ينتقضه أو يرد عليه، كذلك أيضًا ناقش قضايا أخرى منها الخوض في صفات الله تبارك وتعالى دون ضوابط، فلا نريد أن نفصل أن الكلام طبعًا ليس كلنا يستطيع أن يتابع فيه، لكن نركز على محاولته التلفيق بين الفلسفة والدين.

هو المؤلف أو زكي نجيب محمود بيسميه التوفيق بين الفلسفة والدين، وهو في الحقيقة يعني نوع من التلفيق، فهذا التوفيق المزعوم هو مولود غير شرعي، لأنه بيعتقد أن في ثنائية ثنائية طرفين متناقضين هو العقل والإيمان، فهذه الثنائية هي موجودة في الغرب نعم، لأن العقل والإيمان فيه تناقض شديد بينهما، كما هو معلوم من تاريخ الكنيسة، أما في الإسلام فهذه الثنائية غير مفترضة أن العقل يتنافى مع الدين أو مع الإيمان هذا لم يعرفه التاريخ في الإسلام على الإطلاق.

ثم إن الفلسفة هي أصل شيء وارد وشيء غير نابع من المنهج الإسلامي وإنما أرخ المسعودي لانتقال مجلس تعليم الفلسفة من أثينا إلى الإسكندرية وإلى أنطاكية ثم إلى حران أيام المتوكل، ثم انتهى أيام المعتضد إلى قويل ويوحنا ابن جيلان ثم إلى أبي نصر محمد بن محمد الفارابي، والفارابي تلميذ يوحنا ابن جيلان.

يقول ابن كثير، وهو يترجم حياة الفارابي: كان حاذقًا في الفلسفة ومن كتبه تفقه ابن سينا وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، يعني فيه بعث ونشور ولكن بعث الأرواح وليس الأجسام، وأيضًا ليست كل الأرواح التي ستبعث وإنما الأرواح العالمة لا الجاهلة.

يقول الإمام ابن كثير: وله مذاهب في ذلك يخالف فيها المسلمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين.

يقول: ولم أرى الحافظ بن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته والله أعلم، انتهى كلام الحافظ بن كثير، في الفارابي يعني الكندي والفارابي وابن سينا دول كلهم في زبالة التاريخ الإسلامي، ولا يصح كما قلنا مرارًا أن يقال فلاسفة الإسلام، زي ما بتقول زنادقة الإسلام هل للإسلام فلاسفة؟ ليس للإسلام فلاسفة لأن شيء بديهي جدًا أن الفلسفة لا يمكن أن تلتقي مع الإسلام بأي صورة من الصور.

يقول الدكتور محمد إبراهيم الفيومي: إن محاولات التوفيق بين الفلسفة والعقيدة الإسلامية قد فشلت، فالتعارض جذري بين التصورات الفلسفية الوثنية وعقيدة التوحيد، وقد عارضهم علماء الإسلام بمنهج عقلي وأدلة شرعية، لذلك لا ينبغي أن نتهم الفكر الإسلامي بأنه وقف ضد العقل عندما وقف ضد مواهب تقديس الفلسفة وروح المغالاة والوثنية.

يقول الدكتور مصطفى حلمي حفظه الله تعالى: إنه يحق لنا في هذه المناسبة بالكف عن الترويج لآراء هؤلاء الفلاسفة بمناهج الدراسات الجامعية وغيرها، وأن نستبدل بهم العلماء والمفكرين الذين نبغوا وأبدعوا في العلوم الإسلامية.

وحجتنا في هذه الدعوة تستند إلى أنه بالمقارنة بين الفارابي وعلماء عصره، نجد أن الفارابي محدود الأثر بين العشرات بل المئات من الفقهاء والعلماء الآخرين في الطب والفلك وغيرهم، وهؤلاء العلماء والفقهاء هم الرواد الحقيقيون للحضارة الإسلامية.

أخفقت الفلسفة في مجال العلم وفي المجال الديني أيضًا، يعني يرجع ذلك الإخفاق إلى جهل الفلاسفة بالدين وإنكارهم للوحي، لأنهم ينكرون الوحي كمصدر من مصادر أو مصدر لتلقي هذه العلوم الغيبية، ومن يقارن بين أباطيل الفلسفة العقلية وما جاء به القرآن الكريم من الإخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغيرها لا يخفى عليه ما جاءت به الفلسفة من الأباطير، فليس مع الفلاسفة إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: أنترك الكتاب، كلام ما معناه، أنترك الكتاب ونلجأ إلى أمثال أرسطو وذويه كابن سينا وهم يرددون دعاوى مجردة بلا نقل صحيح ولا عقل صريح، ثم يصف ابن تيمية تصورات البشر بأنها قاصرة وتعجز عن توجيه شؤون الحياة، وهذا لا يكتمل إلا بالدين الإسلامي لأنه المنهج الوحيد المبرأ من عوامل العجز البشري، ولأنه من لدن حكيم خبير، ولأنه المنهج الشامل الكامل المنبثق من الحقائق الأصيلة المستقرة في هذا الكون.

وهو الذي يشبع تطلعنا للمعرفة ويأخذ بيدنا إلى طريق السعادة في الدارين، من مظاهر جهلهم بالعلم الإلهي ادعى الفلاسفة بأن العالم العقلي أو المعقول الخارج عن العالم المحسوس هو عالم الغيب.

فعندهم العالم عالمين عالم الغيب وعالم العقل، فالعالم العقلي هو قسيم عالم الحس، في حين أن عالم الغيب ليس هو العالم العقلي، لأن العقل لا يحيط بكل الحقائق التي غابت عنه، واضح.

فعالم الغيب الذي أخبرت به الرسل ليس هو العالم العقلي الذي يثبته الفلاسفة ويردون به على الطبيعيين منهم الذين لا يثبتون إلا العالم الحسي، فمن الفلاسفة الطبيعيين الذين يقولون لا وجود إلا للعالم الحسي، وما دام شيء لا نحسه ونراه فلا نؤمن به.

فريق آخر من الفلاسفة يردون عليهم ويختلفون يقولون: لا في العالم الحسي والعالم العقلي، واضح، العالم العقلي، فبالنسبة للإسلام العالم العقلي ليس هو عالم الغيب لأن العالم العقلي المزعوم لا وجود له إلا في حدود العقل، لأن العقل يجرد الأمور الكلية عن المعينات، في حين أن عالم الغيب له وجود فعلي ثابت يشاهد ويحس، لكننا لا نشاهده ولا نحس به إلا بعد الموت، { لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.

بل بعض الأمور الغيبية في عالم الغيب يمكن أن يطلع أو يشاهدها بعض الناس في الدنيا، من يختصه الله -سبحانه وتعالى- بذلك، وهي أمور ليست عقلية قائمة بالعقل كما يدعون.

كذلك أخفقت الفلسفة في المجال العلمي، فيكاد يتفق مؤرخوا الفلسفة على أن العلم لم ينهض في مطلع العصر الأوروبي الحديث إلا بعد الثورة المزدوجة، يعني الثورة التي حصلت في الغرب وحصل على إثرها النهضة العلمية في الغرب هي ثورة كانت لها وجهان، ثورة على السلطة العلمية، وثورة على السلطة الدينية في الغرب.

فثورة على السلطة العلمية ممثلة في المنطق الأريسطي منطق أرسطو، وثورة على السلطة الدينية ممثلة في رجال الكنيسة، أما الحضارة الإسلامية فقد ازدهرت بفضل القرآن الكريم الذي فتح الآفاق أمام المسلمين في النظر للكون والنفس والتاريخ وأمدنا بحقائق عن الخالق عز وجل ومن شهده وأصل الإنسان ومصيره وحثنا على الأخذ بأسباب إقامة خلافة الإنسان في الأرض.

يقول محمد إقبال وهو يناقش أن المسلمين سبقوا الغربيين في معرفة المنهج التجريبي، يقول: إن ابن تيمية نقض المنطق الأرسطي نقضًا علميًا منظمًا في كتابه نقد المنطق، إذ بين فيه أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين، وهكذا أقام ابن تيمية المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله وليس التفكير النظري المجرد.

هل في الإسلام فلسفة نقول إن هذا السؤال سؤال مصطنع لأنه يقصد الفلسفة أو التفلسف على النمط الغربي أو اليوناني بنظرته المتعالية والمعتزلة بعنصريتها، لكن هذا السؤال ينبغي أن يصحح، فيقال: هل الإسلام يخاطب العقل أم لا؟ هذه هي القضية وهذا هو مفتاح تصحيح مثل هذا الموقف.

من خلال نقض كتاب الفلسفة هذا المقرر على الثانوية العامة، نختصر أيضًا على نقطة معينة ثم نعود لموضوعنا الأساسية، وهي أن هذا الكتاب يمجد من يسميهم فلاسفة الإسلام، وهم في الحقيقة لا يستحقون هذا الشرف أن ينسبوا إلى الإسلام، وإنما أصح وصف لهم هو تلامذة اليونان.

فأول هؤلاء هو ابن سينا، الذي أظهره المؤلف على غير حقيقته، من التدليس الذي دسه في كتابه أنه أظهر ابن سينا في غير حقيقته، فهو يقول في صفحة 52 عن ابن سينا، إنه هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن سينا، فشيخه رغم أن عقيدته عقيدة ابن سينا مخالفة للإسلام بإجماع الأمة، يقول: إنه حاول التوفيق بين الفلسفة والدين، وأنه استعان في سبيل ذلك ببعض مبادئ أرسطو، فهذا شيخ الذي ينسب إلى الإسلام يعترف أيضًا أنه ليس إلا متطفلًا على مائدة أرسطو.

إذًا ماذا عن ابن سينا وماذا عن حقيقة ابن سينا الذي يوصف بأنه من فلاسفة الإسلام، يقول بيبور: إن ابن سينا نشأ في بيت من بيوت الشيعة الإسماعيلية وإن التقاليد الفارسية المتعارضة مع الإسلام كانت تسود هذا البيت.

أما مؤرخ الفلسفة المشهور الدكتور النشار، فإنه يقول في نشأة الفكر الفلسفي إن ابن سينا لا يمثل الفكر الإسلامي، ولكنه امتداد للروح اليونانية في العالم الإسلامي، ويقول: إنه عاش كفيلسفو يوناني في وسط الحضارة الإسلامية، ولذلك لفظه المجتمع الإسلامي مع غيره ممن يسمون بفلاسفة الإسلام كالكندي والفارابي وابن رشد، كيف لا وهم يقولون بعصمة أرسطو ويقلدونه تقليدًا أعمى.

ويقول الدكتور محمود قاسم: إن ابن سينا يمثل الفلسفة الباطنية التي تتستر وراء التصوف وتجعل الإلهام فوق مرتبة الوحي والعقل، وتعمل على تقويض العقيدة السنية، ونشر الحركة الشعوبية، وفق مخططًا يضم الحاقدين على الإسلام من المجوس واليهود والزنادقة أمثال إخوان الصفا والفارابي وابن طفيل والحلاج وغيرهم ممن عمل على تجريد الإسلام من فكرة التوحيد وشكك في الوحي وحاول استبداله بأفكار وثنية إغريقية وزرادشتية وماناوية ومزدكية وغيرها.

ويصف أتباع ابن سينا بأنهم كانوا يسمون أنفسهم أهل الحقيقة ويحتقرون علماء المسلمين ويسمونهم أهل الظاهر استخفافًا بحقائق الشرع، ورغبة منهم في تأويل القرآن تأويلًا فاسدًا وصرف معانيه الظاهرة إلى معاني باطلة بعيدة عن الإسلام، كالإيمان بوحدة الوجود والفناء في الذات الإلهية الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية إنه من جنس الطامات، لأنهم يسقطون به التكاليف والفرائض الشرعية بحجة أن حب الله يسكر العارف أو المتصوف أو الحكيم، أو الفيلسوف من القرامطة والصابئة ويجعلهم في حالة ذهول عن كل شيء.

كما يدعي ابن سينا أن الوحي ليس قاصرًا على الأنبياء بل يشاركهم فيه هؤلاء المتصوفة أو الحكماء المتألهون ويدعي فوق هذا أنهم يعلمون الغيب يقول ابن سينا إن العلم بالغيب ربما يشرك في النفس دفعة واحدة فيرى العارف أشخاصًا كما رأى الرسول جبريل أو يسمع أصواتًا كما سمع موسى كلام الله.

هذه المعرفة أيضًا يفسرها ابن سينا تفسيرًا ماديًا طبيعيًا، وليس تفسيرًا دينيًا كمحاولة منه لمسخ فكرة الوحي والزراية به وجعل التصوف في مرحلة أعلى منه، لكي يخفي ابن سينا اتجاهه الإلحادي هذا نجده يحذر من ملاحدة الفلاسفة تمامًا كما كان يفعل إخوان الصفا، حين يرصعون رسائلهم الإلحادية ببعض الآيات القرآنية، وبالمثل كانت تفعل الطائفة الإسماعيلية.

أما الدكتور مقداد يلجن فعرض نموذجًا للتفسير عند ابن سينا عرض فيه كثيرًا من التحريف والتخريف، مثلا في قول الله تعالى، كما قلنا من قبل أن الفلاسفة أتوا بوثنيات اليونان وكسوها لحاء الشريعة، فهم الباطل كفر وإلحاد، ثم حتى يموهوا على الناس كانوا يلبسونهم من الخارج ثيابًا إسلامية.

مثلاً في قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } **... إلى آخر الآية الكريمة، يقول ابن سينا المشكاة هي العقل الهايولاني، دي من اصطلاحات الفلاسفة الهيولا اللي هي ايه؟ المادة التي كانت ابتداءًا للخلق العقل الهيولاني، أما المصباح {** **كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } فهو العقل المستفاد، والشجرة المباركة هي القوة الفكرية ولا شرقية ولا غربية هي القوة المنطقية، والنار {** **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ } هي العقل الكلي المدبر للعالم المشاهد ... إلى غير ذلك.**

**الدكتور محمد عابد الجابري قال: إن فلسفة ابن سينا مؤلفة من عناصر دينية عند الصابئة أهل حران الذين كانوا يعتبرون الأجرام السماوية آلهة، وذلك واضح في نظريته نظرية الفيض، وفيها شبه ابن سينا الله تبارك وتعالى الشمس، وهي تشبه الفلسفة الدينية الحرانية تشابهًا واسعًا جدًا، وقد تأثر بهم كذلك الكندي والفارابي وإخوان الصفا الذين يؤمنون بروحانية الكواكب.**

**أما الدكتور حمودة غرابة فيقول في كتابه عن ابن سينا: إن ابن سينا لا يوجب الصلاة وغيرها من التكاليف على الخاصة من الناس، الطبقة الخاصة من الناس تسقط عنهم وجوب الصلاة، إن ابن سينا لا يوجب الصلاة وغيرها من التكاليف على الخاصة من الناس ويدعي بأن النبي يعرف هذه الحقيقة ولكنه يكذب على العامة من أجلهم لا من أجله، والعياذ بالله.**

**يعني يزعم هذا المجرم ابن سينا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعرف أن الصلاة تسقط عن الخاصة تسقط عنهم الصلاة والتكاليف الأخرى لكنه مع معرفته حاشاه من ذلك بذلك الحقيقة، لكنه يكذب على العامة من أجلهم لا من أجله.**

**ثم يقول: بأن هذا الكذب لم يأتي على العام ولكنه أتى نتيجة ازدواج في شخصيته إلى غير ذلك من الافتراءات على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.**

**ويقول ابن تيمية: إن ابن سينا متهم بالإلحاد من علماء المسلمين وقال أيضًا إنه شيعي باطني نشأ بين المتكلمين النفاة لصفات الله -سبحانه وتعالى- فتأثر بهم وأنه ألبس وثنيات اليونان أثوابًا إسلامية بحجة التوفيق بين الفلسفة والدين، وأن قضاياه كانت باطلة عقلًا وشرعًا.**

**ثم يعني هناك بعض المظاهر التي توضح ضلال ابن سينا وأخطاؤه التي تزلزل العقيدة الإسلامية، ومع ذلك فإن مؤلف الكتاب كتاب الفلسفة يلبسها ثوبًا إسلاميًا، حيث يقول ذلك المؤلف إن جميع صفات الله التي ذكرها ابن سينا قد وردت في الإسلام وإنها مشبعة بالروح الإسلامية، واضح لأن ابن سينا وهذا محاولة لتجميل ضلال ابن سينا، لأن ابن سينا ليس موافقًا لخط الإسلام ومنهج الإسلام في صفات الله تعالى، وإنما تجرأ على الله وشبهه بالشمس، ووصفه بأنه بسيط وأنه عاشق ومعشوق وغير ذلك من الصفات الإلحادية.**

**فأسماء الله وصفاته تعالى توقيفية وليست توفيقي ليس لأحد أن يخترع أو يتخيل أو يزيد أو ينقص فيها شيئًا، لأنها من الغيبيات، يقول الله تعالى: {** **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } فلا شك أن ابن سينا بضلالاته هذه قد ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى وصفاته العلى.**

**من ضلالات ابن سينا، أنه ينكر أن الله يعلم الجزئيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذا من الضلال المبين، فابن سينا جاء في الكتاب إن ابن سينا أو مع ذلك المؤلف زكي نجيب محمود يحاول يدلس ويخبي على ضلالات وكفريات ابن سينا، فكتاب الفلسفة يقول صفحة 57:**

**إن ابن سينا يصف الله تعالى بأنه عالم بالكليات والجزئيات، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وهذا كذب فاضح من هذا المؤلف لأن ابن سينا كان ينكر علم الله بالجزئيات، ويثبت فقط أن الله يعلم الكليات التي لا تدخل تحت الزمان، فيدلل على ذلك بقوله: إن الله لا يعلم الجزيئات بأشخاصها ولا بأحوالها، التي تتجدد من آن لآخر.**

**وقد رد أبو حامد الغزالي على كلام ابن سينا، فقال: لو كان تغير العلم يؤدي إلى تغير ذات العالم، لأدى تعدد العلم إلى تعدد ذات العالم، وهو ما لم يقل به أحد، وقال معلقًا أيضًا الغزالي على ابن سينا، وأتباعه: أنهم ينكرون علم الله بأحوال زيد وعمرو وخالد، لأنهم يرون أن الله لا يعلم إلا الإنسان المطلق الكلي بدون تخصيص، فإذ أطاع زيد أو عصى لم يكن الله عز وجل عالمًا بما يتجدد من أحواله لأنه لا يعرف زيدًا بعينه، لكنه يعرف مطلق الإنسان.**

**وهذا هو معنى قول ابن سينا إن الله لا يعلم إلا الكليات، لا شك أن هذا تكذيب للقرآن الكريم وكفر بواح، لأنه يجعل الله تعالى عاجزًا على التفريق بين من أطاع ومن عصى، فكيف يحاسب الله خلقه فيثيب الطائع ويعذب العاصي.**

**وقد كان عباد الأصنام يرتكبون المنكرات وهم مطمئنون إلى أن آلهتهم لا تعلم عنهم شيئًا، كما كان ابن سينا نفسه يعاقر الخمر ويرتكب المنكرات لاعتقاده بأن الله لا يعلم عنه شيئًا، هذا جاء في كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي.**

**وقال الغزالي أيضًا: ولهذا حرص القرآن الكريم على أن يثبت في النفوس أن الله تعالى يعلم كل شيء لا عن الناس وحدهم، بل عن الحيوانات والحشرات والنباتات حتى أوراق الشجر، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، وقال الله تعالى: {** **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ }، وقال الله تعالى إن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، {** **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }، {** **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ }.**

**قول الدكتور سليمان دنيا: من اعتقد أن الله لا يعلم الجزئيات، مكذب للقرآن، ولمن أنزل عليه القرآن، توما الأكويني يقول: إن ابن سينا وقف في منتصف الطريق حين قصر علم الله على الكليات دون الجزئيات، فأضاف إلى الله معرفة ناقصة بالوجود وأبطل عنايته بالأفراد، أيضًا الدكتور محمود غرابة يقول: إن قول ابن سينا بصريح العبارة يعني أن الله -سبحانه وتعالى- لا يعلم الجزئيات قبل وجودها، ولا بعد وجودها، لأنه يعلمها علمًا مجردًا عن الزمان، وهذا يستلزم أن يكون الله جاهلًا كل الجهل بهذا الجزئي، وهذا لا يرضي الدين الذي يصرح بأن الله يعلم الجزئيات من حيث هي مقترنة بالزمان، بدليل أن القرآن الكريم أخبر عن أمور تحصل بالمستقبل.**

**كقوله تعالى: {** **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } وقال تعالى: {** **غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ }.**

**يقول الدكتور حمودة غرابة: إني أعتقد أن بعض المتكلمين -يعني كالغزالي وغيره- كانوا أكثر لباقة من ابن سينا حينما قالوا إن العلم إضافة وكذلك التغير في الجزئيات يعني إضافة ... إلى آخره.**

**إذًا كما نلاحظ هنا عند بناء على المنهج البرجماتي، فالذي كان عليه هذا المؤلف استباح أن يكذب من أجل حصول منفعة وهي محاولة تدليس حقيقة أوضاع ابن سينا، كذلك أيضًا عرض المؤلف نظرية الفيض عند ابن سينا مع أنها فاسدة أشد الفساد دون أن ينتقدها، بل يزينها للعقول ويصفها بأنها أفضل من نظرية أفلاطون.**

**فحقيقة رأي ابن سينا في نظرية الفيض أنه ينفي عن الله القدرة على خلق الكون من العدم، ويستبدل صفة الفيض أو الإبداع بصفة الخلق.**

**يعني يزعم أن الكون قديم قدم الله، وأنه لم يخلق ولكنه أبدع، وهذا الرأي الكفري لابن سينا غيبه الكتاب عنا وطمسه وادعى غيره زورًا، بعد أن نسق وخلط قضية الخلق بقضية الإبداع، وقال زورًا أن ابن سينا يصف الله بالصفتين الخلق والإبداع، ولا نريد أن نفصل ونشوش عليكم أكثر في هذا الوقت القصير بتفاصيل نظرية الفيض هذه، لكن ما ذكرنا هو خلاصتها لأننا إذا عارضناها فلا بد أن نتعرض لنقدها، فيطول الوقت أيضًا بذلك.**

**ونظرية الفيض ترجع إلا أفلوطين، وتعبر عن الحضارة اليونانية وهي في طور الاحتضار، حيث تضفي الحياة والعقل على الكواكب، وهذا اعتقاد بدائي وثني جاهلي أتى من مذهب الصائبة ومنه أتت عبادة الكواكب.**

**ابن سينا وأترابه رتبوا على نظرية الفيض عدة مزاعم منها أنهم ادعوا أن النبوة مكتسبة بالجهد الشخصي، وبذلك تسقط الفوارق بين الأنبياء وغيرهم، ويفتح الباب على مصراعيه على كل مدعٍ يزعم أنه كالنبي علمًا وحكمة وعملًا، كذلك يدعون أن الملائكة هي مجرد ما يتخيل في النفس فقط ولا وجود لها في الحقيقة لكن ده خيال في النفس مكا يتخيل النائم.**

**أيضًا ابن سينا يدعي عدم قدرة الله تعالى على حشر الأجساد، والمعاد عنده هو معاد روحاني فقط وليس جسامنيًا، وأن اللذات والآلام روحانية فقط فلا قيامة ولا بعث للأجساد حسب رأيه، وأن ما ورد في القرآن من صور حسية يعتبرها ابن سينا مجرد أمثلة لعوام الخلق، دي أمثلة للعوام فقط، وإنكار حشر الأجساد أخذه ابن سينا من أرسطو حيث يقول: بامتناع إعادة المعدوم في كتابه الكون والفساد، لا شك هذا تكذيب صريح للقرآن الكريم الذي يثبت البعث والنشور.**

**فيقول الغزالي: إن قدرة الله لا تعجز عن إعادة البدن، لأن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، والكفار كانوا يستبعدون البعث الجسماني في قوله: {** **مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ }، وقد رد عليهم الله -سبحانه وتعالى- {** **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ }، وقال تعالى: {** **وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } يعني الأجساد، لأن الروح لا توضع في القبر، وإنما الذي يقبر هو الجسد ... إلى آخره.**

**كذلك أيضًا، يعني تعرض المؤلف لابن رشد الذي زعم أن الشرع يوجب علينا دراسة المنطق الأرسطي والفلسفة يعني اليونانية، بل يدعي ابن رشد أن المنطق الأرسطي هو الأصلح لتأويل آيات القرآن الكريم.**

**الحقيقة أن هذه مجرد إشارة عابرة، أتينا بأنموذج بنماذج ممن يدعون بأنهم فلاسفة الإسلام، لا يمكن أن يلتقي الإسلام والفلسفة أبدًا للبور الشاسع بينهما.**

**نبدأ الآن في مدارسة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المنطق ومن الفلسفة، وهذا بحث الحقيقة في غاية الغزارة، من أقوى البحوث وأوسعها سجل عشرات الكتب في هذه القضية وكلها الحقيقة في غاية الإبداع والروعة من كلام ابن تيمية، لكن مضطرين طبعًا أن نحاول الاختصار، ونأخذ بشذرات قليلة توضح لنا المقصود من هذا البحث.**

**الشيخ أبو العرفان الندوي، الأستاذ بندوة العلماء بالهند له مقالة شيخ الإسلام ومواقفه من الفلسفة والمنطق، يبدأها بقوله:**

**إن من ميزات الإسلام ارتباطه بالعلم ارتباطًا وثيقًا يقول الله تعالى: {** **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: {** **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت معلمًا»، وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، يقول: ومع ذلك لم تنقطع سلسلة ازدهار العلوم من عهد النبوة إلى الآن، برغم حصول ضعف في مراحل مختلفة لكن لا تزال مسيرة ازدهار العلم لأن الإسلام هو دين العلم.**

**يقول: وتعتبر شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية سلسلة ذهبية من هذه السلسلة العلمية، فإنه كان متضلعًا بالعلوم الدينة والعقلية ومتبحرًا فيها، ومن مآكده الإصلاحية والتجديدية تجديد العلوم والفنون وتصحيح مسارها في عصره، ولا نرى غير الشاه ولي الدين الدهلوي من يمثله في مجال التعلم والتعليم إلا أن شيخ الإسلام يميل إلى البسط والتوسع والدهلوي يميل إلى الإيجاز والاختصار.**

**يقول: نلاحظ أن المعتزلة والأشاعرة والماتردية كانوا يردون على الفلسفة اليونانية في سبيل الدفاع عن العقائد الدينية، ثم كانوا يستخدمون نفس المنطق اليوناني والعقلية اليونانية للدفاع عن العقائد، وده التناقض اللي وجد للأسف الشديد وده يبين لنا ملمح تجديدي مهم جدًا قام به ابن تيمية.**

**ابن تيمية لأنه طبعًا تضلع من العلم منذ صغره ومنهجه كان واضحًا جدًا من البداية لم يتذبذب ولم يتلون، فبالتالي ما نجد عنده هوادة أبدًا مع الباطل، أو أن يؤثر فيه الباطل، في حين إننا نرى تناقضًا عند بعض الناس كما نلاحظ عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية كانوا ينتقضون الفلاسفة، ويردون على الفلسفة اليونانية دفاعًا عن العقائد الإسلامية.**

**الغريب أنهم كانوا يستعملون المنطق والفلسفة ونفس العقلية اليونانية في الدفاع عن العقائد، وقد ابتلي بنفس هذا التناقض الغزالي، والرازي، فالغزالي يرد على الفلسفة اليونانية في كتابه تهافت الفلاسفة، وهكذا فعل الرازي في المباحث الشرقية مع فلاسفة اليونان، حيث نقضهم عروة عروة، الغريب أنه بنى بعد ذلك طريقة بحثه واستدلاله على المنطق اليوناني والعقلية اليونانية، وقد أشار إلى هذا التناقض من قال فيه: إنه دخل في جوف الفلاسفة فأراد أن يخرج فما استطاع، أو كما قال ابن العربي رحمه الله في شيخه الغزالي وتعلم منه هنا في الأسكندرية، يقول ابن عربي في الغزالي: إن شيخنا أبا حامد ابتلع الفلاسفة فلما أراد أن يتقاياهم ما استطع.**

**ابتلع الفلاسفة فلما أراد أن يتقيأهم ما استطاع أن يخرجهم من بطنه، فأثروا فيه وإن أبى، فهذا الأمر خطير وهو أننا نسلم عقلية اليونان ونعتقد سلامتها ونستفيد منها في مجال العلم والفكر.**

**والغزالي لم يكتفي بإباحة الاستفادة من المنطق اليوناني، بل أوجبه أوجبه أوجب تعلم المنطق اليوناني وأفصح أنه آلة عاصمة عن الخطأ، ولم يتجرأ أحد من أصحاب الرأي والفكر أن يخطئه وكان اعترافه هذا بمثابة تصويبة للعقلية اليونانية.**

**أول من تنبه لهذه الحقيقة كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، الرد على العقلية اليونانية والمنطق اليوناني، فتنبه شيخ الإسلام لأول مرة لهذه الحقيقة ولهذا التناقض في الأخذ والاستفادة والرد والإنكار، فقام بالرد على الفلسفة اليونانية ونقد أراء علماء اليونانيين ومفكريهم عروة عروة في رسائله الكثيرة.**

**وسلط الضوء على الأسباب التاريخية لنشأة الفلاسفة الإلهية اليونانية التي أذهبت الرعب من قلوب الناس لهذه الفلسفة، إلا أن أهم ما قام به شيخ الإسلام هو كسر طاغوت العقلية اليونانية، التي لم يقم به أحد سواه خلال ستة قرون، لم يقم أي شخص قبل شيخ الإسلام بكسر هذا الصنم، صنم العقلية اليونانية فألف كتابًا كبيرًا باسم الرد على المنطقيين وكتابًا صغيرًا باسم نقد المنطق، وطبق بين الرأي والرواية وقام بعمل تجديدي بارع في هذا الميدان.**

**يقول الشيخ: قال لي مرة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى: إذا أردت أن تخوض بحار المنطق والكلام بدون أي خوف وهيبة، فعليك بشيخ الإسلام، يعني إذا أردت أن تخوذ في علوم المنطق والكلام بدون أن تشعر بهيبة لهذه العلوم، فاغتنم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في نقضهم.**

**فإن الغزالي والرازي يردان على الفلسفة اليونانية، إلا أنهما متأثران بها، وتعتريهم الهيبة، والذي لا يبالي بمؤسس المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية وبرجالها ومفكريها ولا نرى فيه أي شائبة الهيبة والرعب والتأثر بها هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.**

**وقد رفع عمله هذا مكانة عظيمة بين العلماء، وقد سد كتابات الرد والنقض احتياج الأمة في مجال العلم والفكر عبر القرون وكشف اللثام عن الحقائق العلمية التي لم يصل إلى كنهها الغزالي، والرازي إلى مدة بديلة.**

**فقد قال قولته المشهورة في نقض المنطق اليوناني في أول كتابه الرد على المنطقيين، قال شيخ الإسلام: المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد، المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد.**

**وهذه الكلمة الصريحة تكشف عن أهمية قائلها، وتقييمه للمنطق اليوناني ومهارته في هذا الفن، ثم ناقش بشيء من التفصيل الاختلافات بين منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وبين المنهج اليوناني، ثم نشرع الآن بشيء من المنهجية والوضوح الأكثر في بيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية لمناهج الفلاسفة والمنطقيين والمتكلمين، وذلك هذا فصل من كتاب الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ خالد عبد الرحمن العك.**

**يقول في الفصل الثامن، يبين أولًا عصر الهيمنة الفلسفية في عصر أولا هيمنة فيه الفلسفة، يقول: قد ظهر في القرن السابع نصير الدين الطوسي، في أوساط الفلسفة وعرفته حلقات مدارسها ومعاهد تعليمها بالمحقق الطوسي، وكان العالم الإسلامي قد أصابته دهشة الازدهار الثقافي وأصيب بالذهول في هذا الزمن بهجوم التتار، وسقوط بغداد بأيديهم وخيم على العالم الإسلامي كله انحطاط كلي عام، وقد كان نصير الدين الطوسي وهو حامل لواء العلم والفلسفة اليونانية، وهو من مقربي هولاكو ومستشاريه، كان مقربًا من هولاكو ومستشاريه وتولى تلاميذه أمور التدريس والتأليف، وعلى رأسهم قطب الدين الشيرازي وقطب الدين الرازي.**

**وعلى يدهم وجد هذا المنهج الخاص للتعليم السائد في إيران، الذي يحل فيه المنطق والفلسفة محلًا رئيسيًا، وقد كان نصير الدين الطوسي يتصل بالمدرسة التي كانت تعتبر أرسطو العقل الكل وترى في نظراته وتحقيقاته المرجع الأخير، وقد دفع عن فلسفة أرسطو مخالفًا للإمام الرازي وقد كان بث فيها حيوة جديدة.**

**إذًا هذا هو عصر الهيمنة الثقافية الفلسفية كما اتضح في حياة نصير الدين الطوسي، نصير الدين الطوسي توفي سنة 672، طيب متى ولد شيخ الإسلام؟ 662 تقريبًا أو 600 حاجة وستين، معنى كده أن ابن تيمية ولد قبل وفاة الطوسي بعشر سنين، هو الطوسي شيخ الإسلام 661، الطوسي توفي سنة 672.**

**فكان للفلسفة والمنطق اليونانيين غلبة وازدهار عظيم، بتأثير نصير الدين الطوسي وتلامذته الفلاسفة البارعين، وكان يعتبر منتهى الذكاء ومقياس الفضل آنذاك، أن يكون المرء ضليعًا بالفلسفة، يعني الشخص المعظم جدًا هو الشخص اللي يكون ايه؟ ضليعًا في علوم الفلسفة وبالذات ما كان عليه الشيرازي والرازي.**

**لم يكن لأحد أن يتجرأ على القول بإيزائها أو ضدهما، ولم يكن الحفاظ والمحدثون والفقهاء من فرسان هذا الميدان، لأنه طبعًا عامة الفقهاء والحفاظ والعلماء مشتغلين بالعلم الشرعي العلوم الشريفة وليس لهم أصلا ارتباط بهذه العلوم الفلسفية.**

**جل ما كان يسعهم هو أن يفتوا بحرمتها وأن يبينوا ضلالها، إلا أن هذا السيل ما كان يقف بهذا ومثله من الأعمال، سيل الهيمنة الفلسفية الجارف ما كان يكفي في دفعه أن العلماء يردوا يقولوا ايه؟ إنها ضلال وإنه يحرم أن يتعلمها الإنسان.**

**فقد كان العالم الإسلامي كله يعيش تحت ضغطهما وهيمنتهما، ولقد كان للتشكك والارتياب جولة في بعض الأوصاف التي كانت تتصل بالفلسفة اليونانية مباشرة، ويوجد فيها نحو إنكار حقائق الأشياء، أما الطبقة التي ابتعدت عنها ولم تتصل بها مباشرة، فقد وقعت فريسة مركب النقص والشعور بالعكس، ولمحاربة هذا الوضع كانت الحاجة ماسة إلى نقض صريح، واستعراض علمي حر للفلسفة والمنطق، وإلى إزاحة الستار عن مواضع ضعفها العلمي، وقد أنجز حاجة الساعة هذه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.**

**وقام بنقض الفلسفة اليونانية ومحاسبتها العلمية مؤيدًا بحوثه بالدلائل والبراهين، ونقض فلسفة أرسطو بمناظرات علمية وجهًا لوجه، ذلك الذي كان علماء الفلاسفة يعتبرونه شخصية فوق مستوى البشر.**

**يعني كان يعتبرون أرسطو فوق مستوى البشر، وفلسفته غنية عن النقد أو الرد، فأتى شيخ الإسلام فدك صرح فلسفته المزعومة وأراح الأمة من هيمنة فلسفته وإلى الأبد.**

**ثم يقول: مكانة شيخ الإسلام العلمية بالفلسفة، يقول: ولإدراك عظمة عمل شيخ الإسلام في نقد الفلسفة، ولمعرفة معيار نقده ومحاسبته للفلاسفة لا بد من وقفات من تقويمه لقضايا الفلسفة ووجهة نظره نحوها، وأسلوب تفكيره في نقضها وذلك فيما نقتطفه من مؤلفاته ورسائله رحمه الله تعالى.**

**ففيما يتعلق ببحث الفلاسفة في الطبعيات والرياضيات، شيخ الإسلام لما قام بنقض الفلسفة لم ينقضها برمتها وذلك لوجود أبحاث لهم لا تنكر شرعًا، وذلك أنه فرق بين البحث في الطبعيات والرياضيات، وبين البحث في الإلهيات، فيعترف شيخ الإسلام بصحة معظم مسائل الطبعيات والرياضيات، فيقول: نعم لهم في الطبعيات الطبيعة اللي هو الفيزياء، يقول شيخ الإسلام: نعم لهم أي الفلاسفة لهم في الطبعيات كلام غالبه جيد، وهو كلام كثير واسع، ولهم عقول عرفوا بها ذلك، وهم قد يقصدون الحق، ولا يظهر عليهم العناد.**

**ويعترف لهم بهذا المجال، فيقول: لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية وهذا بحر علمهم وله تفرغوا وفيه ضيعوا زمانهم، أيضًا شيخ الإسلام كان يرى أو يصرح بضرورة علم الرياضيات، فيقول: وهذه الأمور آليات وأمثالها مما يتكلم فيه الحساب أمر معقول مما يشترك فيه ذووا العقول، وما من أحد من الناس إلا يعرف منه شيئًا، فإنه ضروري في العلم ضروري في العمل، ولا ريب أن قضاياه كلية واجبة قبول لا تنتقض البتة.**

**يبقى إذًا بيقبل من الفلاسفة أيضًا كلامهم في علوم الرياضيات، لأن علم ضروري وأساسي، فيقول: هم أصابوا كثيرًا في علم الرياضيات وعلم العلوم الطبيعية، أما قضايا الفلاسفة الإلهية فهذا هو الجانب الخطير الذي يعارضه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفلسفة اليونانية، جانب الإلهيات، فينقض منهاج الفلاسفة فيه، ويثبت عجز الفلاسفة جميعًا عن إدراك سر الإلهيات، ويثبت جهلهم بذلك وخيبة أبحاثهم في قضاياهم، وأنهم بخوضهم في هذا الموضوع، إنما تعدوا حدودهم ومهدوا الطريق لنقضهم وتسفيههم، وتحقير شأنهم والحكم بضلالهم.**

**يقول شيخ الإسلام: للمتفلسفة في الطبعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الإلهيات اللي هي أمور ايه؟ العقيدة والغيب ومعرفة الله تبارك وتعالى، بخلاف الإلهيات فهم أجهل الناس بها، فإنهم أجهل الناس بها، وأبعدهم عن معرفة الحق فيها، وكلام معلهم أرسطو فيها قليل كثير الخطأ.**

**مع أن الكلام قليل لكنه أيضًا كثير الخطأ.**

**يقول شيخ الإسلام: وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جدًا وأما ملائكته وكتبه ورسله، فلا يعرفون ذلك البتة، الفلاسفة ما لهم أي معرفة بالملائكة والكتب والرسل، ولم يتكلموا فيه بنفي ولا إثبات، وإنما تكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل.**

**ثم بين رحمه الله تعالى أن الفلاسفة يعترفون بأنهم لا يملكون الوسائل والمبادئ لاكتساب هذا العلم، ولذلك فإنهم يقرون بأنهم لم يتوصلوا في هذا الموضوع إلى اليقين، يقول شيخ الإسلام: بل قد صرح أساطين الفلسفة أن العلوم الإلهية لا سبيل فيها إلى اليقين، إنما يتكلم فيها بالأحرى والأخلق، فليس لهم فيها إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.**

**ولقد أظهر شيخ الإسلام ابن تيمية عجبه البالغ، حينما تناول مباحث العلوم الفلسفية في الإلهيات، يقول: معبرًا عن ذلك، إذا نظر في كلام معلمهم الأول أرسطو، وتدبره الفاضل العاقل لم يفده إلا العلم لنهم كانوا من أجهل الخلق برب العالمين، وصار يتعجب تعجبًا لا ينقضي ممن يقرن علم هؤلاء بالإلهيات بما جاءت به الأنبياء.**

**يتعجب كيف إنسان عاقل يقرن كلام الفلاسفة وضلالهم في أمور الإلهيات بالكلام المشرق المنير الذي أتى به الأنبياء، ويرى أن هذا من جنس من يقرن الحدادين بالملائكة، بل من يقرن دهاقين القرى، بملوك العالم، فهو أقرب إلى العلم والعدل ممن يقرن هؤلاء بالأنبياء، فإن دهقان القرية متولٍ عليها كتولي المالك على مملكته فله جزء من الملك.**

**ثم يقول: وأما ما جاءت به الأنبياء فلا يعرفه هؤلاء البتة، وليسوا قريبين منه، بل كفار اليهود والنصارى أعلم منهم بالأمور الإلهية، ولست أعني بذلك ما اختص الأنبياء بعلمه من الوحي الذي لا ينال غيرهم، فإن هذا ليس من علمهم ولا من علم غيرهم، وإنما أعني العلوم العقلية التي بينها الرسل للناس بالبراهين العقلية في أمر معرفة الرب وتوحيده، ومعرفة أسمائه وصفاته وفي النبوات والمعارف.**

**وما جاءوا به من صالح الأعمال التي تورث السعادة في الآخرة، فإن كثيرًا من ذلك مع أنها عقلية، ده الجزء العقلي في كلام الأنبياء، أما جزء الوحي فهم لا يعرفون عنه قليلًا ولا كثيرًا، لكن حتى الجانب الذي يزعمون أنهم تخصصوا فيه هو جانب العقل، لما نقارن المعارف العقلية التي استفدناها من الأنبياء بما عند هؤلاء يقول: فإن كثيرًا من ذلك لم يشم رائحتها، ولا في علومهم ما يدل عليها، وأما ما اختصت الرسل بمعرفته وأخبرت به من الغيب فذلك أمر أعظم من أن يذكر في ترجيحه على الفلسفة، وإنما المقصود في الكلام من العلوم العقلية، دع ما جاءت به الأنبياء فإنه مرتبة عالية.**

**ثم يبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، الأسباب التي جعلت الفلاسفة جاهلين بالعلوم الإلهية والحقائق الغيبية، فيقول: أما الغيب الذي تخبر به الأنبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها، وتقسم الموجودات قسمة صحيحة، فلا يعرفونها البتة، فإن هذ لا يكون إلا ممن أحاط بأنواع الموجودات، وهم لا يعرفون إلا الحساب وبعض لوازمها، وهذا معرفة بقليل الموجودات جدًا، فإن ما لا يشهده الآدميون من الموجودات، أعظم قدرًا وصفة مما يشهدونه بكثير، ولهذا كان هؤلاء يعني أن الإيمان بالغيب وحقائق الغيب أعظم بكثير من حقائق الشهادة، واضح، فبالتالي الإنسان إذا حرم من نعمة الوحي، هي مصدر العلم ومصدر المعرفة {** **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }، يعني زدني وحيًا، {** **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } يعني يستزيد من الوحي، لأن الوحي كان هو منبع علم الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-.**

**فحقائق الوجود لا تقتصر على الجانب الحسي، بل حقائق الغيب أكثر بكثير جدًا من حقائق الشهادة يعني أقل واحد في الجنة مكانه أو منزلته له الأرض وما عليها مرتين، ده أقل أدنى واحد في الجنة، وسعة الجنة وما فيها وسعة النار أيضًا وما فيها من العذاب ونحو ذلك الملائكة والعالم الغيبي الجن وكل هذه الأشياء من لم يؤمن بالوحي بلا شك سيكون متكلفًا إلى أقصى مدى في هذه العلوم الغيبية، يقول شيخ الإسلام، فإن ما لا يشهده الآدميون من الموجودات أعظم قدرًا وصفة ممن يشهدونه بكثير، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار وهم يظنون أن لا موجود إلا ما علموه، وهم والفلاسفة يصيرون حائرين متأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه، وإن كان هذا لا دليل عليه.**

**فأمام حينما يسمع هؤلاء الذين تشربوا الفلسفة من أتباع الأنبياء الكلام على العرش أو الكرسي أعظم من نسبة العرش إلى الكرسي كحلقة ألقيت في فناء يعني شيء لا يمكن تخيله، وهذه مخلوقة، فإذًا حقائق الغيب أعظم بكثير جدًا من الشهادة.**

**فلذلك الفلاسفة لما كانوا يطلعون على كلام أتباع الأنبياء في هذه الغيبيات الملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، وهم معتقدين أنه لا يوجد إلا ما سمعوا عنه علموه فقط، فيتحيرون أمام كلام الأنبياء، فكانوا يتأولونه بما عرفوه هم كانوا يتأولونه في حدود علومهم المحسوسة، وإن كان هذا التأويل لا دليل عليه، وليس لهم بهذا النفي علم، فإن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، عدم العلم ليس علمًا بالعدم، يعني كوني لا أعرف ما فوق هذا السقف لا يعطي حق أن أقول ليس فوقه شيء، لكن هذه حالة نسبية أنني أجهل ما وراؤه، هذا هو سبب ضلال الفلاسفة أنهم لا يدركون هذا الأمر.**

**عدم العلم ليس علمًا بالعدم، عدم العلم جهل نسبي، لكن ليس من حقي أن أنفي ما لا أعلمه، وبالتالي دائمًا شيخ الإسلام يقول: إن الأنبياء لا يخبرون بمحالاة العقول، وإنما يخبرون بمحاراة العقول، يخبرون بأمور تحير العقل، لكن لا يمكن أبدًا أن يخبروا بأشياء تتناقض مع العقل، لماذا؟ لأن هذه ليست معقولة وإنما مجهولة، العقل يعني يستوعب الأشياء التي في إمكانه أن يستوعبها، لكن الغيبيات العقل لا يستطيع أن يدرك كنهها.**

**يقول شيخ الإسلام: وليس لهم بهذا النفي علم فإن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن، لأنهم ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن، وإلا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن، واضح.**

**فبعض الناس ممن لا يفقهون يعني يعطي نفسه الحق في أنه ينكر أمور هو لا علم له بها، وفي نفس الوقت العلم الطبي يتعامل مع أمور محسوسة، وإن كان في الحقيقة علم الطب موقفه من موضع أمور الجن موقف منصف، يعني حتى في موضوع الصرع مثلا الطب يعترف أن نسبة كبيرة جدًا من حالات الصرع يسميها مجهولة السبب، يقول: لا أعرف سببها، وفي أخرى يكون لها أسباب عضوية مثلا، لكن قسم كبير منها الطب يقول: أنها مجهولة السبب، فده علم كأنه عارف قدر نفسه، إنه جاهل في هذا المجال، فلا يعطيه هذا الحق في أن ينكر الغيب.**

**يقول: وهكذا تجد من عرف نوعًا من العلم وامتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيًا لم لا يعلمه وبنو آدم، ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به، يقول الله تعالى: {** **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } يثبت شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال سبره غور تاريخ فلاسفة اليونان القدماء أنهم كانوا يعبدون الكوكب والأصنام، وأنهم كانوا يبنون لها الهياكل، وقد أثبتت الآثار اليونانية المكتشفة حديثًا عن وجود أصنام لليونان تمثل الوثنية القومية لهم، فلم يعد الآن من شك أن فلاسفة اليونان كانوا يرزحون تحت ميل الآلهة المزعومة من الكواكب والهياكل.**

**يقول شيخ الإسلام رحمه الله: أما قدماء اليونان فكانوا مشركين، من أعظم الناس شركًا وسحرًا، يعبدون الكواكب والأصنام، ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب لأجل عبادتها، وكانوا يبنون لها الهياكل، ويقول أيضًا: ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، فالأولون يسمون الكواكب الآلهة الصغرى، ويعبدونها بأصناف العبادات، وكذلك كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويجيبون التوحيد.**

**بل يسوغون الشرك ويأمرون به أو لا يجيبون التوحيد، وأثبت شيخ الإسلام ابن تيمية أن أرسطو كان أبعد الفلاسفة عن الحقائق الدينية وذلك فيما يراه من الفارق الذي بينه وبين غيره من الفلاسفة.**

**فالمتقدمين من الفلاسفة اتفقت لهم السياحة في البلدان التي بعثت فيها الأنبياء عليهم السلام، فتثنى لهم الاطلاع على بعض الحقائق الدينية، أما أرسطو فلم يتفق له ذلك، فيتحدث شيخ الإسلام عن ذلك رواية عن بعض المؤرخين فيقول: وسبب ذلك ما ذكره طائفة ممن جمع أخبارهم أن أساطين الأوائل كفيثاغور وسقراط وأفلاطون، كانوا يهاجرون إلى أرض الأنبياء بالشام، ويتلقون عن لقمان الحكيم، ومن بعده من أصحاب داود وسليمان، وأن أرسطو لم يسافر إلى أرض الأنبياء ولم يكن عنده من العلم بآثار الأنبياء ما عنده سلفه، كان عنده قدر يسير من الصابئية الصحيحة، فابتدع لهم هذه التعاليم القياسية وصارت قانونًا مشى عليه أتباعه.**

**ومن سوء الحظ أن فلسفة أرسطو هي التي نالت رواجًا في العالم الإسلامي وهي التي اشتهرت في العهد الأخير بفلسفة اليونان.**

**يقول شيخ الإسلام: ولكن هذه الفسلفة التي يسلكها الفارابي وابن سينا وابن رشد والسهروردي المقتول، ونحوه فلسفة المشائين وهي المنقولة عن أرسطو الذين يسمونه المعلم الأول.**

**فأغلب الذين اتبعوا الفلسفة في بلادنا الإسلامية أخذوها عن أرسطو ومعروف أن أرسطو حاله أسوء من الفلاسفة الآخرين من قبله للفرق الذي ذكره شيخ الإسلام أنه لم يخالط أتباع الأنبياء، وبالتالي لم يصله شيء من علوم الأنبياء، أما السابقون فقد نزحوا إلى الشام، واختلطوا بأتباع الأنبياء وبالتالي كانوا أخف ضلالًا من أرسطو.**

**لم تكن الفلسفة اليونانية تعتبر قضية الإيمان بوجود الإله إلا فكرة ذهنية فقط، يقول شيخ الإسلام: فإذا تصور العاقل أقوالهم حق التصور تبين له أن هذا الواحد الذي أثبتوه لا يتصور وجوده إلا في الأذهان لا في الأعيان، إن أسلوب المبالغة الذي اتخذه الفلاسفة في بيان النفي لأفعال الإله وفي صفاته وفي تجريده عن جميع صفات الكمال يرى شيخ الإسلام أن في هذا الاعتقاد الفاسد لهؤلاء الفلاسفة غاية السفه والكفر.**

**يقول: لقد أحسن بعض الفضلاء، يعني لما سمع كلام الفلاسفة في تصورهم عن الإله قال الصفع أحسن من توحيد الفلاسفة، يعني يضرب المرء على قفاه أفضل من أن يعتقد هذا التوحيد الفلسفي، بل قصر فيما قال، شيخ الإسلام يقول: أنه قصر في هذا الوصف.**

**وأثبت شيخ الإسلام أن المتأخرين من الفلاسفة الذين ينتسبون إلى الإسلام إنما هم مقلدون عميان لأرسطو وفلسفته، ومن تقليدهم له، ونهجهم على فلسفته وقعوا في أخطاء فاحشة وكبيرة، كما وعقوا في تناقض شديد، ويشكو رحمه الله تعالى تألمه الشديد ويبدي عتابه على هؤلاء الفلاسفة الذين انتسبوا إلى الإسلام، وجحدوا نعمة هدايته وإرشاده ولم يستفيدوا من نور هدايته بل كانوا دائمًا يريدون حجب نوره وهدايته، يقول شيخ الإسلام: إن هؤلاء المتفلسفة المتأخرين في الإسلام من أجهل الخلق عند أهل العلم والإيمان، وفيهم من الضلال والتناقض ما لا يخفى على الأذكياء الصبيان، لأنهم لما التزموا ألا يسلكوا إلا سبيل سلفهم الضالين وأن لا يقروا إلا بما يبنون على تلك القوانين الفلسفية وقد جاءهم من النور والهدى والبيان ما ملأ القلوب والألسلنة والآذان وصاروا بمنزلة من يريد أن يطفئ نور الشمس بالنفخ في الهباء، أو يغطي ضوءها بالعباء.**

**ثم يتكلم عن جهل شيخ الفلاسفة ابن سينا بالنبوة، تناول شيخ الإسلام نقد الفلاسفة الذين حاولوا شرح العقائد الغيبية والعقائد الدينية تقليدًا لأرسطو وإتباعًا فلسفته نقدًا لاذعًا، حيث بين شيخ الإسلام، أنهم يحاولون تفهم هذه الحقائق والعقائد وإفهامها لغيرهم على ضوء الفلسفة والاعتماد عليها، وهو ينتقض قبل كل شيء شيخ الفلاسفة ابن سينا الذي يعتبر خليفة أرسطو الكبير، وشارح فلسفته الكبير.**

**يقول شيخ الإسلام: وعلى هذا يعني على أساس أنه حاول من يسمون فلاسفة الإسلام أن كما قلنا أن يكسو الفلسفة لحاء الشريعة الغطاء الخارجي يبقى شريعة، لكن اللُب والجوهر يبقى كفر الفلسفة، فده سبب الضلال المبين، يقول شيخ الإسلام: وعلى هذا بنى ابن سينا أمر النبوة على أنها من قوى النفس وقوى النفوس متفاوتة، وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها.**

**وهو أنقص ممن أراد أن يقرر أن في الدنيا فقهاء وأطباء، وهو لم يعرف غير الشعراء، فاستدل بوجود الشعراء على وجود الفقهاء والأطباء، بل هذا المثال أقرب فإن بعد النبوة عن غير الأنبياء، أعظم من بعد الفقيه والطبيب عن الشاعر، ولكن هؤلاء من أجهل الناس بالنبوة ورأوا ذكر الأنبياء قد شاع فأرادوا تخريج ذلك على أصول قوم لم يعرفوا الأنبياء.**

**وقال أيضًا في بيان حقيقة الوحي وأبعد هؤلاء عن النبوة المتفلسفة والباطنية والملاحدة، يعني أبعد هؤلاء عن النبوة المتفلسفة والباطنة والملاحدة، فإن هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام، وليست في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة، والفارابي جعل النبوة من جنس المنامات، ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي.**

**ده بقى الفارابي اللي كل ما نتكلم نقول ايه؟ لا ده احنا عندنا فلاسفة عندنا الكندي والفارابي وابن سينا وكلهم في الزبالة كما ترون، في زبالة التاريخ يعني دول لا ينسبون إلى الإسلام أصلا كما ترون، يعني يرى أن الفيلسوف أفضل من النبي، والفارابي جعل النبوة من جنس المنامات فقط، ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي والعياذ بالله.**

**وابن سينا عظمها أكثر من ذلك فجعل للنبي ثلاث خصائص أحدها أن ينال العلم بلا تعلم ويسميها القوة القدسية، وهي القوة الحدسية عنده، والثاني أن يتخيل في نفسه ما يعلمه فيرى في نفسه صورًا نورانية، ويسمع في نفسه أصواتًا كما يرى النائم في نومه صورًا تكلمه ويسمع كلامهم، وذلك موجود في نفسه لا في الخارج، فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبي مما يراه ويسمعه دون الحاضرين، إنما يراه في نفسه، ويسمعه في نفسه وكذلك المحظور عنده.**

**يعني إنها زي ايه؟ الهلاوس الهلاوس والضالات وهذه الأشياء، إن هي مصدرها نفسك، في داخل نفسه، مش جياله من الخارج وحي، واضح.**

**الثالث: أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولا العالم بإحداث أمور غريبة، وهي عندهم آيات الأنبياء، وعندهم ليست في العالم حادث إلا عن قوة نفسانية أو ملكية أو طبيعية كالنفس الفلكية والإنسانية.**

**والأشكال الفلكية والطبائع التي للعناصر الأربعة، والمولدات، ولا يقرون بأن فوق الفلك نفس شيء يفعل، ولا يحدث شيئًا فلا يتكلم ولا يتحرك بوجه من الوجوه ولا ملك ولا غير ملك فضلا عن رب العالم، والعقول التي يثبتونها عندهم ليس فيها تحول من حال إلى حال البتة، لا بإرادة ولا قول ولا عمل ولا غير ذلك.**

**كذلك المبدأ الأول وهؤلاء عندهم جميع ما يحصل في نفوس الأنبياء إنما هو من فيض العقل الفعال، ثم إنه لما سمعوا كلام الأنبياء، أرادوا الجمع بينه وبين أقوالهم فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانهم، ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء، ثم يتكلمون ويصفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء، وضل بذلك طوائف وهذا موجود في كلام ابن سينا ومن أخذ عنه.**

**يبين أثر الفلاسفة على المتكلمين، فلم يكن موجهًا انتقاده الشديد إلى الفلاسفة اليونانيين ومقلديهم من متفلسفة الإسلام فحسب، بل يتعادهم إلى أولئك المتكلمين، اللي هم بتوع علم الكلام داخل الفرق الإسلامية، الذين اتخذوا أساليب الفلسفة ومقدماتها ومصطلحاتها الناقصة فذهبوا يحاولون الدفاع عن الإسلام وحقائقه الدينية والغيبية بتلك الأساليب الهزيلة الضعيفة التي لا تقوى على ترسيخ نفسها، فكيف تقوى على ترسيخ غيرها.**

**فالإسلام بجوهرها وحقائقه غني كل الغنى عن الفلسفة وأساليبها ومقدماتها ونتائجها، بل إن الفلسفة في مجال علم الإلهيات والبحث فيها، فيها مناقضة ومخالفة للإسلام في ذلك، وعلى هذا فكانت هي الفلسفة تناقض الأمور الإلهية والغيبية فلا يصح استخدامها في إثبات العقائد الإسلامية، كما لا يصح استعمال مصطلحاتها في التعبير عن مضامينها ومن هنا جاء نقض شيخ الإسلام للمتكلمين.**

**يقول ابن تيمية رحمه الله: لما تكلموا في إثبات النبوة، صاروا يوردون عليها أسئلة في غاية القوة والظهور، ولا يجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة، كما ذكرنا كلامهم.**

**يعني الفرق الضالة اللي هم المتكلمين اللي أخذوا علوم الفلاسفة وتأثروا بها وحاولوا الدفاع عن الإسلام عن طريق علم الكلام، فنجد هؤلاء حينما يناقشون قضية النبوة مثلا فيأتون بشبهات قوية جدًا وشديدة، ثم إذا أرادوا الدفاع يأتي الجواب هزيلًا أو متهافتًا، فيكون فتنة.**

**من أشهر واحد كان يقع في هذا الأمر؟ يطول النفس جدًا في سرد الشبهة، ويكون طاقته مهدرة على بال ما يجي يرد يكون أنهك فيأتي رده هزيلًا ضعيفًا، أشهر واحد؟ لا لازم حد يقول، الرازي في كتابه تفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ولذلك الرازي مش كل واحد يقرأ في كتابه.**

**الآن دي من العيوب الشديدة، يعني ممكن يأتي لمناقشة قضية معينة فيأتي في الأول يعرضها بشبهاتها فيعرضها بنفس طويل جدًا، ثم يستهلك طاقته في عرضها والانتصار لها، ثم إذا أتى مقام الرد يكون أنهك فيأتي الرد ضعيفًا هزيلًا فيبقى فتنة لمن لا يحسن دحض هذه الضلالات.**

**يقول شيخ الإسلام، هو سماه هكذا لكن يطلق عليه الاسم الأشهر التفسير الكبير.**

**يقول شيخ الإسلام: لما تكلموا –أهل الكلام يعني- في إثبات النبوة صاروا يوردون عليها أسئلة في غاية القوة والظهور ولا يجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة كما ذكرنا كلامهم، فصار طالب العلم والإيمان والهدى من عندهم، -لا سيما إذا اعتقد أنهم أنصار الإسلام، ونظّاره، والقائمون ببراهينه وأدلته- إذا عرف حقيقة ما عندهم، لم يجد ما ذكروه يدلّ على ثبوت نبوة الأنبياء، بل وجده يقدح في الأنبياء، ويورث الشك فيها أو الطعن، وأنها حجة تقدح في الأنبياء، وتورث الشك فيها، أو الطعن فيها، وأنها حجّة لمكذب الأنبياء أعظم مما هي حجّة لمصدق الأنبياء، فانسدّ طريق الإيمان والعلم، وانفتح طريق النفاق والجهل، لا سيما على من لم يعرف إلا ما قالوه.**

**ولهذا لما ظهر للغزالي ونحوه ضعّف طريق الاستدلال بالمعجزات الذي سلكه شيوخه، وهو لا يعرف غيره؛ أعرض عنها، وذكر أنه إنما علم ثبوت النبوة بقرائن تعجز عنها العبارة، وهي علوم ضرورية حصلت له على الطول. وجعل الدليل على النبوة هو العلم بأنّ ما جاء به حقّ من غير جهته، وهذه طريق صحيحة.**

**والرازي في كلامه في النبوة متردد بين نبوة الفلاسفة، ونبوّة أصحابه هؤلاء وليس في واحدٍ من الطريقين إثبات النبوة التي خصّ الله بها أنبياءه.**

**فلهذا ضعفت معرفة هؤلاء بالأنبياء، وضعف أخذ العلم من طريقهم، لا سيما وقد عارضوا كثيراً ممّا جاء عنهم بالعقليات، ودخلوا فيما هو أبعد عن الهدى والعلم؛ من العقليات، والذوقيات التي من سلكها ضلّ ضلالاً بعيداً.**

**وقد عارض شيخ الإسلام ابن تيمية المتكلمين فيما يزعمونه أنه دلائل يثبتون به عقائدهم، وقرر أنها تفيد في بيان فساد أقوال سائر الطوائف وتناقضاتها ولا تفيد في معرفة ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-.**

**يقول شيخ الإسلام: أكثر الانتفاع بكلام هؤلاء، اللي هم علماء الكلام فيما يثبتونه من فساد أقوال سائر الطوائف وتناقضها.**

**لما يردوا على الفرق الأخرى الضالة فيبدعون في هذا ويأتون بكلام جيد، كذلك كلام عامة طوائف المتكلمين ينتفع بكلام كل طائفة في بيان فساد قول الطائفة الأخرى، يعني فرق المتكلمين كل فرقة تستفيد منها هدم أدلة الطائفة الأخرى، واضح.**

**لكن لا يستفاد منها في معرفة ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فلسي في طوائف أهل الأهواء والبدع من يعرف حقيقة ما جاء به الرسول ولكن يعرف كل طائفة منه ما يعرفه فليسوا كفارًا جاحدين فيه وليسوا عارفين به.**

**ولهذا اعترف الرازي بهذا في آخر حياته حيث قال: ولقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي ظليلًا، وأثبت شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في عامة كتاباته بكل تأكيد أن حجج القرآن الكريم ومنهج أسلوبه في الاستدلال بإثبات الحقائق الغيبية والإيمان بها، وتحقيق القضايا الاعتقادية أبلغ وأقوى وأرسخ من كل الحجج والأساليب التي يستدل بها المتكلمون في هذا الخصوص، وأشد تأثيرًا في النفس من أي استدلال آخر.**

**يقول شيخ الإسلام: إن ما عند أئمة النظار أهل الكلام والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الإلهية فقد جاء القرآن بما فيها من الحق وما هو أبلغ وأكمل منها على أحسن وجه، مع تنزهه عن الأغاليط الكبيرة الموجودة عند هؤلاء، ولهذا كانت الأقيسة العقلية البرهانية المذكورة في القرآن من هذا الباب كما يذكره في دلائل ربوبيته وإلهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته، وإنكار المعاد وغير ذلك من المطالب العلية والسنية والمعالم الإلهية التي هي أشرف العلوم وأعظم ما تكمل به النفوس من المعارف.**

**يبين شيخ الإسلام الفرق الأساسي بين القرآن والفلسفة في ذات الله تعالى وصفاته، في حديث عن الفرق المبدئي بين القرآن والفلسفة في ذات الله تعالى وصفاته فيقول:**

**والقرآن أثبت الصفات على وجه التفصيل، ونفى عنها التمثيل، وهي طريقة الرسل جاءوا بإثبات المفصل ونفي مجمل، وأعداؤهم الفلاسفة جاءوا بنفي المفصل وإثبات مجمل.**

**وهذا يعني معروف لمن درس العقيدة السلفية بالتفصيل.**

**بقي شيء يسير جدًا من المسائل نذكر عناوينها فقط إن شاء الله تعالى، ناقش بعد ذلك أثر نفي الصفات الإلهية على الحياة البشرية.**

**لو أخذنا بمنهج الفلسفة اللي هو كلف منهج الفلاسفة اللي هو يغلب عليه النفي المفصل والإثبات المجمل، ما أثره على الحياة البشرية؟**

**أيضًا نفاة الصفات لم يكن دينهم إتباع الكتاب والسنة، أيضًا من هذه الأفكار بيان أن القرآن مصدر أصول الدين، ومنها أن نظرة أهل الكلام بيان نظرة أهل الكلام إلى منهج أهل السلف، وأيضًا يناقش ميزة منهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويناقش أهل الكلام ويعظمون أئمة الاتحاد والحلول وبيان نقد المنطق اليوناني وإبطال هيمنته وخطر تأثير المنطق على العقل وقوة البيان، وانحطاط العلوم العقلية من جراء علم المنطق، هذه بعض النقاط التي تبقت فإن شاء الله تعالى نحاول تلخيصها الأسبوع القادم.**

**وأنا أعترف أن البحث يمكن لا يروق كثيرًا منكم على غير العادة، لأننا ما تكلمنا في هذا الشأن من قبل، لكن أعتقد أن دراسة شخصية مثل ابن تيمية لا بد لأن دي لها ارتباط وثيق بقضية المنهج السلفي الذي عاش من أجله شيخ الإسلام ابن تيمية.**

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.**

جزى الله الشيخ خير الجزاء، ونفعنا وإياكم بما سمعنا من العلم ونسأل الله جل وعلا أن يرفع مكانة الشيخ في المهديين، وأن يجعله علمًا من أعلام الهدى والدين ولا تنسوننا وتنسوا الشيخ من دعوة صادقة بظهر الغيب، وتقبلوا تحيات إخوانكم في تسجيلات السلف الصالح بالأسكندرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.